

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصَصُ النَّبِيِّينَ

اجزاء الرابع

تأليف

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

مجلس نشر نایب اسلام آباد

۱۔ کے۔ ۲۔ ناظم آباد میٹن - ناظم آباد کراچی ۴۰۰۰

قَصْرُ النَّبِيِّ

الجزء الرابع

تأليف
أبو الحسن علي الحسيني الندوي

مَجْلِسُ نَشْرِ دِيَارِ سَلَامَةِ

۱۔ ۳۔ ناظم آباد نیشنل ہاؤس آباد ۱۔ کراچی ۱۸

الحقوق محفوظۃ للناس

پاکستان میں جملہ حقوق طباعت و اشاعت

بجی فیصل ربی ندوی محفوظ ہیں۔

لہذا کوئی فسر دیا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے

ورنہ ان کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی

نام کتاب	قصص النبیین (چارم)
تصنیف	ابوالحسن علی الحسنی ندوی
طباعت	احمد برادرزیر نٹرز۔ کراچی
اشاعت	۲۰۰۸ء
فحاشیت	۸۴ صفحات
ٹیلیفون	
	۶۶۰۱۸۱۶

اسٹاکٹ: مکتبہ ندوہ قائم سینٹر اردو بازار کراچی

فون ۲۶۳۸۹۱۶

ناشر

فیصل ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام کے ۳۔ ناظم آبادیشن، ناظم آباد کراچی ۲۶

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى .
 أما بعد ، فإن كاتب هذه السطور يَحمدُ الله على
 أنه وفقه ليعود إلى سلسلة «قصص النبيين للأطفال» ،
 بعد فترة طالت مدة ثلاثين سنة ، فقد كانت بداية
 هذه السلسلة في سنة ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م ، وإتمامها على
 الجزء الثالث المشتمل على قصة سيدنا موسى - عليه
 وعلى نبينا الصلوة والسلام - في سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ،
 ثم شغل المؤلف بأعمال كتابية تأليفية أخرى ، ورحلات
 طويلة متوالية ، صهرته عن إتمام هذه السلسلة التي
 رزقها الله قبولاً عظيماً في حلقات التعليم والمدارس الشعبية
 والحكومية في شبه القارة الهندية والبلاد العربية ،
 وصدرت لها طبعات في القاهرة وبيروت .

والْحَمْدُ لبعض رجال التعليم والتربية وقادة الفكر

على إتمام هذه السلسلة بقصص من بقي من الأنبياء
 بعد سيدنا موسى ، وإكمالها بقصة خاتم النبيين ﷺ
 وسلامته ، فهي مسك الختام ، ونهاية المطاف ، ورأوا أن
 هذا العمل أفضل وأجدى من كثير مما يشغل المؤلف
 ومن الموضوعات التي يعالجها ، وكان المؤلف يشعر في
 بعض الأحيان بأن الأمر ما عاد سهلاً له ، لبعد العهد
 به ، وأنه يصعب عليه أن ينزل إلى مستوى الأطفال
 وأسلوبهم واللغة التي يفهمونها ، ولكن الله يسر له هذه
 المهمة ، فوضع الجزء الرابع في شهر رمضان سنة
 ١٣٩٥ هـ ، وهو الذي بين يدي القراء ، ثم وفقه الله
 لوضع الجزء الخامس المشتمل على السيرة النبوية على
 صاحبها الصلاة والسلام ، وسيلى هذا الجزء إن شاء
 الله ، والحمد لله الذي بعثته وجلاله تتم الصالحات ،
 والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ﷺ وسلم .

أبو الحسن علي حسني لندي

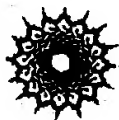
والسلامة على العلماء - لكونه (الهند)

١٦ / شوال سنة ١٣٩٦ هـ

التَّنبِيْهُ

نرهبو محضات القراء الانتباه للرموز التالية
أثناء قراءتهم لهذا الكتاب .

الحركات في الحروف المشدّدة تكون مع التشديد،
فمثلاً: الفتحة في التشديد تكون فوقه، كما تراها
فوق حرف « الصاد » في كلمة « قِصَّة ». والكسرة تكون
تحت التشديد، كما تراها في كلمة « سَيِّد ». والضمّة
تكون فوق التشديد، كما تراها على حرف « اللَّام » في
كلمة « كُلُّ » في جملة « هُوَ كُلُّ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ » .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- نَظَرَةٌ عَلَى الْقِصَصِ السَّابِقَةِ

قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ، وَقَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا هُودٍ وَسَيِّدِنَا صَالِحٍ، قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا مُوسَى فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّطْوِيلِ، قَرَأْتُمْ كُلَّ ذَلِكَ بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ، وَإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرٍ، وَحَلَّتْ فِي نَفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ مَحَلَّ الْقِصَصِ الْحَبِيبَةِ الْأَثِيرَةِ، وَوَعَتْهَا ذَاكِرَتُكُمْ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ، وَقَدْ رَأَيْتُمُ النَّاسَ تَخْكُونَهَا لِإِخْوَتِكُمُ الصَّغَارِ، وَتُرَدِّدُوهَا لِلْأَبْوَيْنِ وَالْإِخْوَةِ الْكِبَارِ، وَأَنْتُمْ تَتَذَوَّقُونَهَا، وَقَدْ تَتَحَمَّسُونَ فِي حِكَايَتِهَا.

٢- قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

وَلَا غَرَابَةَ؛ فَإِنَّهَا قِصَّةٌ شَائِعَةٌ مُشِيرَةٌ، وَإِنَّهَا قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَبَيْنَ التُّورِ

وَالظَّلَامَ ، وَبَيْنَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ ،
وَالظَّنِّ وَالْتَّخِينِ .

ثُمَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْعِلْمِ عَلَى
الْجَهْلِ ، وَالضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، قِصَّةٌ
فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :
« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا
يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَوَعْدَ رَحْمَةٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . »

٣- وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قِصَصِ النَّبِيِّينَ ، هُوَ كُلُّ مَا
حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَايَاتِهِمْ ، فِي الْقُرْآنِ
قِصَصٌ غَيْرُ هَذِهِ الْقِصَصِ .

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى
مَدْيَنَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ تِجَارَةٍ وَسِلْعٍ .
فَقَدْ كَانُوا عَلَى الْجَادَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ

وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ .
 كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ غَيْرَهُ ، كَمَا كَانَتْ أُمَّمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ
 عَصْرٍ ، وَكَانُوا - زِيَادَةً إِلَى ذَلِكَ - يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ،
 وَيُطْفَفُونَ فِي الْكَيْلِ ، وَتَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ ، فَيَتَوَعَّدُونَهَا
 وَيُخَيِّفُونَهَا ، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، شَأْنَ الْأَغْنِيَاءِ
 الْأَقْوِيَاءِ ، الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابًا .
 قَبَعَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شُعَيْبًا يَدْعُوهُمْ وَيُنذِرُهُمْ ،
 وَيَقُولُ لَهُمْ : « يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ يُخَيِّطُهُ وَيَقُومُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
 بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

٤ - دَعْوَةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَيَبْسُطُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحُلُّ عُقْدَةً فِي نَفْسِهِمْ ،
 وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ ، فَيَقُولُ :

إِنَّ مَا يَفْضُلُ لَكُمْ مِنَ الرِّيحِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ
 خَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ ، وَإِذَا
 نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَفِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَوْا وَجَعُوا
 الْأَمْوَالَ ، وَجَدْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنْ طَرِيقِ التَّطْفِيفِ
 وَالْبَخْسِ وَالْخِيَانَةِ ، كَانَ مَحْبُورًا إِلَى التَّلَفِ وَالضَّيَاعِ ، أَوْ
 الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ ، أَوْ أُنفِقَ فِي غَيْرِ مَا يَرْضَى
 اللَّهُ ، أَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ أَتْلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ ، وَالْقَلِيلُ
 الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ : «قُلْ لَا يَسْتَوِي
 الْخَيْثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ
 وَتَصِيحَاتِي لَكُمْ خَالِصَةٌ مُخْلِصَةٌ ، وَاللَّهُ هُوَ الرَّقِيبُ
 عَلَيْكُمْ وَحْدَهُ . يَقُولُ فِي رَفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَبِعَبِيرَةٍ :
 «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ

٥ - أَبٌ رَحِيمٌ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَتَنَوَّعُ لَهُمْ فِي الْخُطَابِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي التَّصْصِيحَةِ ،
 شَأْنُ الْأَبِ الرَّحِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ ، فَيَقُولُ :

يَقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ بِهِمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ ۚ قَدْ جَاءَتْكُمْ
 بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ
 خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
 وَتَعْبُدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَن أَمَنَ بِهِ وَتَغْلِبُونَهَا عِوَجًا
 وَادْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُفْسِدِينَ ۝ ٢٥

٦- جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَّقَ أَذْكَاءُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا
 وَقَالُوا فِي تَبَيُّهِ وَزَهْوٍ، كَانَتْهُمْ أَكْثَفُوا سِرًّا أَوْفَكُوا لَفْظًا :
 وَيُشْفِي أَبْصَارَكُمْ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرِكَ مَا يَبْعُدُ أَبَاؤَنَا
 أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۚ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝

٧- شُعَيْبٌ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ، فَلَمْ يَقْسُ وَلَمْ يَفْضَبْ ،

وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ بِنَدَ صَمْتٍ طَوِيلٍ وَعَدَمِ تَعَرُّضٍ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِزَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ أَحْيَرًا: بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرُهُ وَأَتَاهُ نُورًا مِنْ عِنْدِهِ .

وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَدُ ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَزَقَهُ حَلَالًا طَيِّبًا ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ سَعِيدٌ ، هَنِيءُ النَّفْسِ ، رَحِيحُ النَّبَالِ ، شَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ .

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرِ وَيَرْتَكِبُهُ ، وَمِنْعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيهِ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ إِصْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَادَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُخَلِّقُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَلِأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ يُرْجَعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ .

وَقَالَ : يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ بَيْنِ رَزَقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ ، إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ ، وَمَا

تَوَفِّيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ١٥.

٨ - مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ

وَتَجَامَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ ، كَأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي لُغَةٍ أَعْجَبِيَّةٍ ، مَعَ أَنَّهُ ابْنُ الْبَلَدِ وَأَخُو الْقَوْمِ ، وَكَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ غَيْرَ مُفْصِحٍ ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِمْ كَلَامًا وَأَفْصَحِهِمْ بَيَانًا ، وَهَكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا كَبُرَتْ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ .

٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَوَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ لَهُ لَرَجِمُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ ، وَقَدْ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ شُعَيْبٌ وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ غُرَضُهُ لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلَاكِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ .

وَقَالُوا : يَشُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا . وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ
 قَالَ : يَقَوْمِ ارْهَطِي أَعْزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَاتَّخِذُوا وَرَاءَكُمْ
 ظَهْرِيَاءَ ، إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ .

١٠- السَّهْمُ الْآخِرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَطْلَقُوا السَّهْمَ الْآخِرَ الَّذِي
 أَطْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَاتَّبَاعِهِمْ :
 « قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ
 يَسُوعَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ،

١١- حُجَّةُ قَاطِعَةٍ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوَابَ فَخُورٍ بِدِينِهِ ، غَيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ
 وَضَمِيرِهِ : « قَالَ : أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ؟ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ
 لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ
 حِلًّا ، عَلِمَ اللَّهُ تَوَكُّلَنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٥ .

١٢- بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَ الْأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ ذَلِكَ ، بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ : « قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ
لَمِنَ الْكَذِبِينَ ٥ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ٥ » .

١٣- عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً ، عَاقِبَةُ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ نَبِيَّهَا
وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ : « فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جُثَمِينَ ٥ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٥ الَّذِينَ
كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ٥ » .

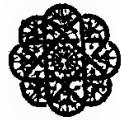
١٤- بَلَّغِ الرِّسَالَةَ وَأَدِّى الْأَمَانَةَ

وَكَانَ شَأْنُ شُعَيْبٍ شَأْنُ كُلِّ نَبِيٍّ بَلَّغِ الرِّسَالَةَ وَأَدِّى

الْأَمَانَةَ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ :

« فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ : يٰ قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالِ

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كٰفِرِينَ ۝ » .



قَصَّة سَيِّدَا دَاوُدَ وَسَيِّدَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

وَلَمْ يَفْتَحِرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِ اللَّهِ وَمَالِقِيهِ الْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِ مِنْ تَكْذِيبِ وَسُخْرِيَةٍ وَإِمَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِنَ الْأُمَمِ
الَّتِي بُعِثُوا فِيهَا ، وَمَا لَقِيتْ هَذِهِ الْأُمَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ ،
وَهَلَاكِ وَدَمَارٍ ، لِتَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ ، وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ ، وَكَيْدِهَا
لَهُمْ ، وَمَمَّتْهَا بِقَتْلِهِمْ ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قِصَصِ النَّبِيِّينَ .

١- القرآن يتحدث عن آلاء الله

بَلْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنْ آلَاءِ اللَّهِ ، وَحَكَى فِي
بَسْطِ أَحْيَانًا وَفِي اخْتِصَارٍ أَحْيَانًا عَنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ ، أَنْعَمَ بِهَا
عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، مِنْهُمْ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ ، وَمِنْهُمْ
أَيُّوبُ وَيُونُسُ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى .

فَلَمَّا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ لَهُمَا فِي
الْأَرْضِ ، وَوَسَّعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ ،

وَعَلَّمَهُمَا كَثِيرًا مِمَّا جَهِلَهُ النَّاسُ ، سَخَّرَ لَهُمَا الْأَقْوِيَاءَ
وَالْعُمَدَ ، وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ ، فَقَالَ :
« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا : الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَطِقَ الطَّيْرِ
وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؕ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْعَبِيدُ ۝ » .

٢- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى دَاوُدَ

فَإِنَّمَا دَاوُدَ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَقَارُبُ
مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ التَّدْرِيعِ ، وَالْآنَ
لَهُ الْحَدِيدُ :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يُجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ
وَالطَّيْرُ ۚ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ؕ أَنِ اعْمَلْ سِيْفَتٍ وَقَدِّرْ
فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ؕ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ » .

وَيَقُولُ : « وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِبَكُمْ مِنَ

بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاعِرُونَ ۝

٣- شُكْرُهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَةِ

وَكَانَ دَاوُدُ مَعَ هَذَا الْمُلِكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْمَحَاقِقَةِ الْقَوِيَّةِ
عَبْدًا خَاشِعًا أَوْبًا ، دَائِمَ الذِّكْرِ ، طَوِيلَ الدُّعَاوِ وَالتَّسْبِيحِ ،
حَاكِمًا مُقْسِطًا ، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا يَحْأَيِ ، يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى :

« يُدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا
يَوْمَ الْحِسَابِ ۝ » .

٤- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى سُلَيْمَانَ

فَإِذَا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
وَتَحْمِلُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ
وَأَسْرَعَ زَمَانٍ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءَ وَالْحَاقِيقِينَ مِنَ الْجِنِّ ،

وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، يُفَقِّدُونَ أَوَامِرَهُ ، وَيَكْسِلُونَ
مَسَارِيحَهُ الْمُنَرِّيَّةَ وَالْبَنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

« وَلَسْلَيْمَنْ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ هـ وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ
مَنْ يَقُولُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ هـ وَكُنَّا لَهُمْ
حَافِظِينَ هـ ،

« وَلَسْلَيْمَنْ الرِّيحَ غَدُوحًا شَهْرًا وَرَوَاحَهَا شَهْرًا هـ
وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ هـ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
بِإِذْنِ رَبِّهِ هـ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
السَّعِيرِ هـ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَخَابِيثَ وَتَمَثِيلٍ وَحِفْلٍ
كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رُسِيَّتٍ هـ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ
مَنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ هـ » .

٥ - فِقْهٌ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ

وَقَدْ تَجَلَّى ذِكَاؤُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي
قَضِيَّتِهِ رُفِعَتْ إِلَى وَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرَّمَ قَدْ أَنْشَتْ

عَنَاقِيدَهُ ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِّقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ ، فَفَضَى
 دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَزْمِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : غَيْرُ هَذَا
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ . قَالَ : تَدْفَعُ الْكَزْمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِ الْكَزْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَزْمُ كَمَا
 كَانَ ، دَفَعْتَ الْكَزْمَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى
 صَاحِبِهَا .

وَحَبَّهُ اللَّهُ بِفَقْهِ دَقِيقٍ وَعِلْمٍ عَمِيقٍ فَقَالَ : وَدَاوُدُ
 وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
 وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا شَهِيدِينَ ۚ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَا
 حُكْمًا وَعِلْمًا .

٦- سُلَيْمَانُ يُعْرِفُ

لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ

وَقَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّةَ حِكْمَةِ مُنْتَعَةٍ تَجَلَّى فِيهَا تَبْقُظُ
 سُلَيْمَانُ فِي تَذْيِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَرَهْبَةِ سُلْطَانِهِ ، كَيْفَ جَمَعَ اللَّهُ
 لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ

وَالرَّسَالَةَ فِي الدِّينِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُفَّةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ ، وَجَمَعَ
جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ذَاتَ مَرْتَه ، وَرَكِبَ فِيهِمْ فِي
أَبْهَةِ وَعَظَمَتِهِ ، وَكَانُوا عَلَى نِظَامٍ كَامِلٍ ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ
رُؤَسَائِهِمْ ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَى وَادِي النَّمْلِ ، فَخَافَتْ نَمْلَةٌ
عَلَى قَبِيلَتِهَا أَنْ تُحْمَلَهَا الْخَيُْولُ بِخَوَافِرِهَا ، وَلَا يَشْعُرَ بِذَلِكَ
سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، فَأَمَرَتْهُمْ بِالْذُّخُولِ فِي مَسَاكِينِهِمْ ، فَفَهِمَ
ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ التَّيَهُ وَلَا الرَّهْوُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ
أَنْبِيََاءِ اللَّهِ ، بَلْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِ
نِعْمَتِهِ ، وَالِدُّعَا لِلتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْإِنْخِرَاطِ فِي
سَبِيلِكَ عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ .

٧- قِصَّةُ هُذُمِ

وَكَانَ الْهُذُمُ رَاشِدَهُ وَعَيْنَهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ
الْيَمِيَاءِ ، وَمَنَازِلِ الْجَيْشِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ ،
فَقَابَ زَمَانًا يَسِيرًا ثُمَّ جَاءَهُ ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ : أَطْلَقْتَ عَلَى
مَا لَمْ تُطْلَعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ ، وَجِئْتُكَ بِخَبَرٍ يَهْدِي

عَنْ سَبَأٍ وَمَلَائِكَتِهِمْ ، لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ وَدَوْلَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَقَدْ
وَجَدْتُهُمْ - عَلَى هَذَا الْعَقْلِ وَالْكِيَاسَةِ ، وَالْمُلْكِ وَالرَّعَاسَةِ -
لِصَحَابٍ سَفَاهَةٍ وَجَهَالَةٍ ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ، وَلَا يَفْقَهُونَ ذَلِكَ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
وَحَدَّهُ .

٨ - سُلَيْمَانُ يَدْعُو مَلَكَ سَبَأَ إِلَى دِينِهِ

وَسَقَى عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ بِجَوَارِ مَمْلَكَتِهِ مُلْكٌ
وَأُمَّةٌ لَا يَنْفِرُهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ ، وَلَا تَزَالُ تُعْبِدُ الشَّمْسَ ،
وَنَارَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ الدِّينِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَرَأَى مِنَ الصَّوَابِ
أَنْ يَكْتُبَ إِلَى مَلَائِكَتِهَا وَحَاكِمَتِهَا الْمُشْرِكَةِ ، وَيَدْعُوَهَا
إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالطَّاعَةِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَحِفَ
عَلَى بِلَادِهِمَا بِجُودِهِ الْقَامِرَةِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهَا كِتَابًا بَلِيغًا وَدَعَاها
فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ، وَالْكِتَابُ يَجْمَعُ بَيْنَ
الرَّقَّةِ وَالصَّهْرَامَةِ وَتَوَاضِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرَةِ الْمُلُوكِ .



٩. الْمَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ جَامِعًا بَيْنَهُمَا ، وَكَانَتِ الْمَلِكَةُ الَّتِي تَحْكُمُ
هَذِهِ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُتَسَرِّعَةٍ فِي الْحُكْمِ ، عِنْدَهَا تَجَارِبُ
وَاسِعَةٌ مِنْ سِيرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ ، وَلَئِمَّا خَانَهَا عَقْلُهَا
فِي مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ وَعِبَادَتِهِ ، فَلَمْ تَأْخُذْهَا حَيَّةُ الْمُلُوكِ ، وَلَمْ
تَسْتَبِدَّ بِالرَّأْيِ ، فَأَطْلَعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى
هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْكُتُبِ ، إِنَّهُ كِتَابُ
مَنْ أَعْظَمَ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ
وَلَمَّا بَدَأَ أَرْكَانُ دَوْلَتِهَا يُدِلُّونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ
إِرْضَاءً وَتَمَلُّقًا - شَأْنُ جُلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَ الْحُكْمِ فِي كُلِّ زَمَانٍ
وَمَكَانٍ - لَمْ تَقْبَلْ مَقَالَتَهُمْ وَلَمْ تُوَافِقْهُمْ عَلَيْهَا ، بَلْ حَدَّثَتْهُمْ
مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَذَكَرَتْهُمْ بِسِيرَةِ الْمُلُوكِ الْفَاتِحِينَ فِي
الْأُمَمِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَالْإِنْكِسَارِ ، وَقَالَتْ
سَيَكُونُ هَذَا شَأْنُ بِلَادِنَا وَأَمْنِنَا ، وَقَالَتْ لَهُمْ : إِنِّي
سَأُرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَحُلُوفٍ فَأُتَمِّحُهَا بِهَا ، فَإِنْ

قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ.

١٠- هَدِيَّةُ مُسَاوَمَةٍ

وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِاثْنَةِ أَلْفِ مَلِكٍ، فَلَمَّا
وَصَلَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ أَعْرَضَ عَنْهَا وَزَمِدَ فِيهَا، وَقَالَ:
أَسْهَأُ مُوَيْنِي بِمَالٍ لَا تُشْرِكُكُمْ عَلَى شُرَكَائِكُمْ وَمُلِكِكُمْ؟ وَالَّذِي
أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْمَلِكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ، خَيْرٌ مِّمَّا أَنْتُمْ فِيهِ،
وَالْأَمْرُ جِدُّ لَيْسَ بِهَزْلٍ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ دَعْوَةٍ وَطَاعَةٍ،
لَيْسَتْ قَضِيَّةَ مُسَاوَمَةٍ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَضَائِهِ لَهُمْ وَرَحْفِهِ
عَلَى مُلِكِهِمْ

١١- الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هَذِهِ الْيَفْنَةُ إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ، وَحَكَتْ
لَهَا الْقِصَّةَ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا، وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ
إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاضِعَةً، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قُدُومَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذَلِكَ وَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا

آيَةً مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ
عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُخْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَلَتْ بِهِ رِجَالًا
أَقْوِيَاءَ أُمْنَاءَ ، فَطَلَبَ مِنْ مَلَأِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ وَصُولِ
هَذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ .

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَكَانَ
مُعْجِزَةً ، وَأَمْرِيهِ سُلَيْمَانُ فَعُيِّرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ ، لِيُخْتَارَ
مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتُهَا عِنْدَ رُؤُوسِهِ ، وَإِنْ التَّبَسَّ عَلَيْهَا الْأَمْرُ
كَانَ دَلِيلًا عَلَى قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدْقَ مِنْهُ وَأَبْعَدَ
مَنَالًا .

١٢- قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ رُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَاتَيْنِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، قَبْتَوْا
لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ رُجَاجٍ ، وَأَجْرُوا تَحْتَهُ الْمَاءَ ، فَالَّذِي
لَا يَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَاءٌ ، وَلَكِنَّ الرُّجَاجَ يَحُولُ
بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَكَانَ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ الْمَلِكَةَ
تَسْوَاهُ مَاءٌ فَتَكْشِفُ عَنْ سَاقِيهَا ، وَمُنَالِكَ تَبَيَّنَ الْخَطَأُ ،

وَتُذَرِكُ قُصُورَ نَظَرِهَا وَاتَّخِذَاعَهَا بِالْمَظَاهِرِ ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ، لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلنُّورِ وَالْحَيَاءِ ،
الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمُنَالِكَ يَنْكَشِفُ الْفُطَاءُ
عَنْ عَيْنَيْهَا ، فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الزُّجَاجِ
مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ، كَذَلِكَ أَخْطَأَتْ
فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدَتْ لَهَا وَ
عَبَدَتْهَا ، وَكَانَ ذَلِكَ أَبْلَغَ مِنْ مِائَةِ خُطْبَةٍ وَالْفِ دَلِيلٍ .

١٣- وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهَكَذَا كَانَ ، فَقَدْ تَوَرَّطَتْ رَغَمَ دَمَائِهَا وَذَكَائِهَا
فِي هَذَا الْخَطَأِ الْفَاحِشِ ، وَتَوَقَّعَتِ الزُّجَلَجَةَ مَاءً رَفَاقًا
يَسِيلُ وَيَمُوجُ ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَحُوضَهُ .
مُنَالِكَ بَيَّنَّهَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطَايَاهَا ، وَقَالَ :
إِنَّهُ صَرِيحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، وَانْكَشَفَ الْفُطَاءُ عَنْ عَيْنَيْهَا ،
وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظْهَرِ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَعِبَادَةِ
الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا ، وَابْتَدَرَتْ تَقُولُ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

١٤- الْقُرْآنُ يَحْكِي قِصَّةَ سُلَيْمَانَ

وَأَقْرَأُوا هَذِهِ الْقِصَّةَ الشَّائِقَةَ الْمُنتَبِهَةِ فِي
الْقُرْآنِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْفَائِضِينَ ۚ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ۚ فَمَكَتْ غَيْرَ بِعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ۚ
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّجَرِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ
قَالَ : سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ إِذْ هَبَّ

بِكَيْبِي هَذَا فَأَلْعَنَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَلْقَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ
وَلَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاتُّوْفِ
مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ۝
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُون ۝ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ
قُوَّةً وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ۝ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا
تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً ۝ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنظِرُوْا لِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ
سُلَيْمٌ قَالَ أَتَيْدُوشِي بِمَالٍ زَقَمَآ أَتَنِىَ اللَّهُ خَيْرٌ
مِّمَّا أَتَيْكُمْ ۝ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝ إِنْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بَحْنُودٌ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَمُحْضًا مَّعْغُرُونَ ۝ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ: أَنَا
أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۝ وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ: أَنَا

إِيَّاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ۖ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا
عِنْدَهُ قَالَ : مُذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي نِزْلَ بَلْغُوْنِي ۖ أَشْكُرُ
أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ : تَكْفُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ
أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ
قِيلَ : أَفْمَكَذَا عَرْشُكَ ۖ قَالَتْ : كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ
مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي
الصَّهْرَجَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
سَاقِيهَا ۖ قَالَ : إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ :
رَبِّ إِنِّي خَلَلْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۝

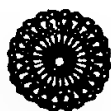
وَمُذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مُوَاقِفَهُ
فِي الدَّغْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ ، وَحِكْمَتَهُ وَفَقْهَهُ
وَعِزَّتَهُ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ .



١٥- وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ مَا لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ مُّوَحِّدٍ
شَرَعَ اللَّهُ هُدًى لِلْإِيمَانِ ، فَضْلاً عَنْ نَبِيِّ مُّزْسَلٍ
لَهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، وَآكَرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخِلَافَةِ
فَتَسَبَّوْا إِلَيْهِ الشَّخَرَ وَالْكَفَرَ ، وَالْمُدَاهَنَةَ لِلشُّرْكِ ، وَ
الْإِخْطِلَابَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ ، فَبَرَّاهُ
اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ ». وَقَالَ : « وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ
نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » . وَقَالَ : « وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا
لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَّأَبٍ » .



قِصَّةُ سَيِّدِنَا يُتُوبَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

١- قِصَّةُ يُتُوبَ نَمَطُ آخَرُ

مِنَ الْقِصَصِ

وَقِصَّةُ يُتُوبَ فِي الْقُرْآنِ نَمَطُ آخَرُ مِنَ الْقِصَصِ،
وَمَظْهَرُ آخَرُ مِنْ مَظَاهِرِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ،
الْعَابِدِينَ الشَّاكِرِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ الْمَخْبُوعِينَ؛ فَقَدْ
كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ،
وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ، فَأَبْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَذَهَبَ عَنْ
آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ
سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِمَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى
عَافَهُ الْجَلِيسُ، وَأُفْرِدَ فِي نَاحِيَةِ مِّنَ الْبَلَدِ، وَلَمْ
يَبْقَ أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ يَخْنُوعُ عَلَيْهِ، سِوَى زَوْجَتِهِ الَّتِي
كَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَاجَتْ أَيْضًا فَصَارَتْ تَخْدِمُ
النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ (١).

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره.

٢- صَبْرُ أَيُّوبَ

وَكَانَ رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ صَابِرًا شَاكِرًا يُلْهِجُ لِسَانَهُ
بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، لَا يَشْكُو ، وَلَا يَتَعَتَّبُ ، وَلَا يَتَذَمَّرُ ،
وَلَا يَفْضُبُ ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سِنِينَ حُلُولًا مُلْقَى عَلَى
كُنَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَخْتَلِفُ الدَّوَابُّ فِي جَسَدِهِ

٣- مِحْنَةٌ وَمِنْجَةٌ

وَلَمَّا تَمَّ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ ابْتِلَاءٍ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ
مِنْ تَكْمِيلٍ ، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِ ، وَالرَّضَا بِالْقَضَاءِ ، أَلْهِمَهُ
الدُّعَاءَ الْمُسْتَجَابَ ، الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ عَجْزُهُ وَبُؤْسُهُ ،
وَأَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ ، وَعَافَاهُ اللَّهُ فِي بَدَنِهِ وَأَهْلِيهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ ،
وَبَارَكَ لَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ، يَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ »

وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ
 مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا
 وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ۝

٤- قِصَّةُ يُوسُفَ وَحِكْمَتُهَا

وَتَأْتِي قِصَّةُ يُوسُفَ مَقْرُونَةً بِقِصَّةِ أَيُّوبَ ،
 مُؤَيَّدَةً لَهَا فِي إِثْبَاتِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ
 وَإِغَاثَتِهِ لَهُمْ ، حِينَ يَنْقُطِعُ الرَّجَاءُ ، وَيَفْشَى الْيَأْسُ
 الْقَاتِلُ وَالظُّلَامُ الْحَالِكُ ، وَتَنْسَدُ جَمِيعُ الْمُنَافِذِ ، فَلَا
 نُورَ وَلَا هَوَاءَ ، وَلَا أَمَلَ وَلَا رَجَاءَ ، تَدُورُ رَحَى الْمَوْتِ
 قُوَّةً سَرِيعَةً تَطْحَنُ حَبَّةَ الْحَيَاةِ نَاعِمَةً دَقِيقَةً .
 هُنَاكَ تَبْرُزُ يَدُ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، الْقُوَّةِ
 الْقَاهِرَةِ ، الرَّحِيمَةِ الْحَكِيمَةِ ، فَتُخْرِجُ هَذَا الْإِنْسَانَ
 الضَّعِيفَ مِنْ أَشْدَاقِ الْأَسَدِ الضَّارِي وَالْمَوْتِ
 الْقَاتِلِ ، فَيَخْرِجُ سَلِيمًا غَيْرَ مُخْدُوشٍ ، كَامِلًا غَيْرَ
 مَنْقُوصٍ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي بَيْتِهِ مُحْفُوظًا بَيْنَ أَهْلِهِ .

٥- يُوسُفُ بَيْنَ قَوْمِهِ

وَهَذِهِ قِصَّةُ يُوسُفَ : بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ
قَرْيَةٍ ، نَيْنُوا ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ ،
وَتَمَادَوْا فِي كُفْرِهِمْ ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ مُغَاضِبًا
لَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ بِالْعَذَابِ بَعْدَ ثَلَاثِ ، فَلَمَّا تَحَقَّقُوا
مِنْهُ ذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكْذِبُ ، خَرَجُوا إِلَى
الصَّخْرَاءِ بِأَطْفَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ
بَيْنِ الْأُمَهَاتِ وَأَوْلَادِهَا ، ثُمَّ تَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَجَازُوا إِلَيْهِ ، وَرَغَتِ الْإِبِلُ وَفُضِّلَانُهَا ، وَخَارَتِ الْبَقَرُ
وَأَوْلَادُهَا ، وَتَنَّتِ الْغَنَمُ وَسِخَالُهَا ؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ
الْعَذَابَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا

إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ ۚ لَمَّا أَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَتَيْنَهُمْ إِلَى حِينٍ ۝ » .



٦- يُونُسُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ

وَأَمَّا يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ فَرَكِبَ
 مَعَ قَوْمٍ فِي سَفِينَةٍ ، فَجَنَحَتْ بِهِمْ ، وَخَافُوا أَنْ يَفْرَقُوا
 فَاقْتَرَعُوا عَلَى رَجُلٍ يُلْقَوْنَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ يَتَخَفُّونَ مِنْهُ
 فَوَقَعَتِ الْفُرْعَةُ عَلَى يُونُسَ فَأَبَوْا أَنْ يُلْقَوْهُ ، ثُمَّ أَعَادُوهَا
 فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ أَيْضًا ، فَأَبَوْا ، ثُمَّ أَعَادُوهَا ، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ
 أَيْضًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ،
 أَيِ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الْفُرْعَةُ » ، فَقَامَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَقَدْ
 أَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُوتًا يَشْقُ الْبَحَارَ حَتَّى جَاءَ ،
 فَالْتَقَمَ يُونُسَ حِينَ أَلْقَى نَفْسَهُ مِنَ السَّفِينَةِ ، فَأَوْحَى
 اللَّهُ إِلَيْ ذَلِكَ الْحُوتِ أَنْ لَا تَأْكُلْ لَهُ لَحْمًا ، وَلَا تَهْشِمَ
 لَهُ عَظْمًا ^(١) .

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .

٧- وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ

فَكَانَ فِي ظُلُمَةٍ بَطْنِ الْحَوْتِ ، فِي ظُلُمَةِ الْبَحْرِ ،
 فِي ظُلُمَةِ اللَّيْلِ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَمَا أَسَدَّ
 الظُّلَامَ ! وَمَا أَبْعَدَ السَّلَامَ ! وَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
 يَنْكُثَ ، ثُمَّ أَلْهِمَهُ اللَّهُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُبَدِّدُ الظُّلُمَاتِ ،
 وَتَكْشِفُ الْكُرْبَاتِ ، وَسَنَنْزِلُ الرَّحْمَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ
 سَمَاوَاتٍ ، وَاسْمَعْ الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْفَرِيدَةَ
 الْفَرِيدَةَ ، الَّتِي فِيهَا سَلَوَى لِكُلِّ بَائِسٍ مَلْهُوفٍ ، وَيَأْسٍ
 مُضْطَرِبٍ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَ
 ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، وَرَأَى عَيْنَانَا أَنْ لَا مَلْجَأَ
 مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ :

« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ
 نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
 وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ »

قِصَّةُ سَيِّدِنَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- دُعَا زَكَرِيَّا الْوَلَدِ صَالِحِ

وَلَوْ أَنَّ آخِرَ مَنْ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَآيَاتِ
قُدْرَتِهِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، تَجَلَّى فِي دُعَا زَكَرِيَّا
لَوْلَدِ صَالِحِ رِضِي ، بَرَّتْ قِيَّةٌ ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ
يَعْقُوبَ ، وَيَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، وَذَلِكَ حِينَ
تَقَدَّمَتْ بِهِ الشُّنُ ، وَهَمِنْ مِنْهُ الْعَظُمُ ، وَلَجَّ بِهِ
الشَّيْبُ ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ مِنْ أَنْ تَلِدَ زَوْجُهُ ، فَأَجَابَ
اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ ، وَكَذَّبَ ظَنُّونَ النَّاسِ ، وَأَبْطَلَ
التَّجَارِبَ الْقَدِيمَةَ ، فَرَزَقَهُ وَلَدًا رَاشِدًا ، بَكَرَ بِهِ
النُّبُوغُ وَالْحِكْمَةُ ، وَالْجِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَالْكِتَابُ فِي
الصَّغَرِ ، وَخُصِّنَ بِالْحَنَانِ وَالصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى وَالْبِرِّ
بِالْوَالِدَيْنِ ، وَالرَّقَّةِ وَلَيْنِ الْكَنَفِ وَخَفَضِ الْجَنَاحِ
وَرَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ زَكَرِيَّا ، وَأَرَاهُ آيَاتِ تَدُلُّ

عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَأَرَاهُ تُصَهِّرُهُ
فِي خَلْقِهِ وَفِي أَعْضَاءِ جَسَدِهِ يُحَرِّكُ مَا يَشَاءُ وَيُعْطِلُ مَا يَشَاءُ ،
وَتَحَقَّقَ لَهُ أَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ بِيَدِهِ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ،
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيَزْرُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

٢- نَذَرُ امْرَأَةِ عِمْرَانَ

وَقَدْ نَذَرَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ - مِنْ أَسْرَقَ سَيِّدِي
زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَالِحَةً تُحِبُّ اللَّهَ ، وَ
تُحِبُّ دِينَهُ - أَنَّهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا تَهَبُ هَذَا الْوَلَدَ
لِلَّهِ : لِخِدْمَةِ دِينِهِ وَسَأَلَتِ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ هَذَا الْوَلَدَ
وَيَنْفَعَ بِهِ دِينَهُ وَعِبَادَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَإِمَامًا
مَنْ أُمِّتَ الْهُدَى :

٣- قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى

وَأَرَادَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ أَمْرًا وَأَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَصْلَحَةِ عِبَادِهِ ، فَإِذَا هِيَ تَلِدُ أُنْثَى ، فَتَحْزَنُ

لِذَلِكَ وَتَفْسَاهُ الْكَاتِبَةُ ، وَلَكِنَّ الْوَلِيدَةَ لَمْ تَكُنْ كَكُلِّ
 أَنْثَى ، بَلْ كَانَتْ أَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَأَعْلَى هِمَّةً فِي
 الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ، مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْفَتَيَانِ ، وَإِذَا قَدَّرَ
 اللَّهُ - لِحِكْمَةٍ يَغْلِبُهَا - أَنْ تَكُونَ أَنْثَى ، وَالنَّبُوءَةُ لَا يَضْطَلِعُ
 بِأَعْبَائِهَا إِلَّا الرِّجَالُ ، فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أُمًّا لِنَبِيِّ
 صَالِحٍ يَكُونُ لَهُ شَأْنٌ :

« إِذْ قَالَتْ أَمْرَأْتُ عِمْرُنَ : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
 مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي » إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥
 فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ
 بِمَا وَضَعْتَ ۖ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ
 وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَمِّيَهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ٥ » ،

٤ - عَنَايَةُ اللَّهِ بِالْفَتَاةِ الصَّالِحَةِ

وَكَانَتْ فِي كِفَالَةِ سَيِّدِنَا زَكْرِيَّا لِمَكَانَتِهَا مِنْهُ ،
 وَفِي رِعَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَكَانَ اللَّهُ يُكْرِمُهَا بِالْأَنْشَارِ
 وَالْفَوَاكِهِ فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَفِي غَيْرِ مَكَانِهَا ، تَأْكُلُ مِنْهَا

مَا تَشَاءُ وَتَهَبُ مِنْهَا مَا تَشَاءُ .

« فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ، كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ
عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ : يَمْزِيئُ أَنِّي لَكِ هَذَا ، قَالَتْ : هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَلَّ اللَّهُ يَنْزِقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ يَغِيرِ حِسَابِهِ »

٥ - إِلَهَامًا مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ

وَأَلْهِمَ اللَّهُ زَكَرِيَّا - وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمِنْ
الْعُقَلَاءِ الْأَذْكِيَاءِ - أَنْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُكْرِمَ فَتَاةً
صَالِحَةً أَخْلَصَتْ أُمُّهَا فِي النَّذْرِ بِهَا وَالِدُهَا لَهَا ، وَ
أَخْلَصَتْ هِيَ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، بِفَوَاكِهَ سَابِقَةٍ لَزَمَانِهَا
أَوْ مُتَأَخِّرَةٍ عَنْ أَوَانِهَا ، يَقْدِرُ أَنْ يَهَبَ شَيْخًا قَدْ طَعَنَ
فِي السِّنِّ وَعَلَاهُ الشَّيْبُ وَأَثَرُ فِيهِ الْوَهْنُ ، وَلَدًا قَدْ
انْقَطَعَ مِنْهُ الرَّجَاءُ لِعُلُوِّ السِّنِّ وَعَقْرِ الزَّوْجِ ، وَجَرَتْ
الْعَادَةُ أَنْ لَا يُولَدَ لِرَجُلٍ فِي هَذِهِ الْحَالِ .

فَجَاشَتْ نَفْسُهُ ، وَعَلَتْ هِمَّتُهُ ، وَانْتَعَشَ

الْأَمَلُ ، وَقَوِيَتِ الثِّقَةُ بِالرَّبِّ ، فَفَاضَ لِسَانُهُ بِدُعَائِهِ أَمَّنَتْ
عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَحَرَّكَتْ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَكَانَ كُلُّهُ
إِلْهَامًا مِّنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ، وَتَقْدِيرًا مِّنَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ :
« هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ : رَبِّ هَبْ لِي
مِنْ لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ » .

٦- بَشَارَةُ وَلَدٍ

وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ ، وَتَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ الْبَشَارَةُ
بِوَلَدٍ صَالِحٍ قَرِيبَ زَمَانٍ وَلَادَتِهِ .
وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ، فَطَلَبَ أَمَارَةً
عَلَى إِمْكَانِ هَذَا الْحَدَثِ الْكَبِيرِ وَقُرْبِ ظُهُورِهِ ، فَقَالَ :
« رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ قَالَ : إِنِّيُكُ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۖ وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ
بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ۝ » .

فَالْقَادِرُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْلُبَ خَوَاصَّ
الْأَشْيَاءِ ، فَيَجْعَلَ اللِّسَانَ النَّاطِقَ أَنْبَكُمْ لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَتَحَرَّكَ بِكَلِمَةٍ ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُودِعَ مَا شَاءَ مِنْ
تَخْلُوقَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ خَوَاصِّ ، وَالْقَوِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَمْنَعَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْطِيَ

٧- آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ

وظَهَرَتْ آيَاتُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ فِي جِسْمِهِ ثُمَّ فِي
بَيْتِهِ وَأُسْرَتِهِ ، وَوُلْدِ يَحْيَى فَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ ، وَاشْتَدَّ
بِهِ أَزْرُهُ ، وَعَاشَتْ بِهِ دَعْوَتُهُ . وَاسْمَعُوا الْقُرْآنَ يَحْيَى
هَذِهِ الْقِصَّةَ تَارَةً فِي إِيجَارٍ وَطَوْرًا فِي تَفْصِيلٍ ، فَيَقُولُ :
« وَزَكَّرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ زَوْجَيْنَا لَهُ يَحْيَى وَ
أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ » إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ
يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا » وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ ٥ .

٨- يَحْيَى يَضْطَلِعُ

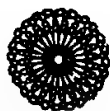
بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ

وَيُولَدُ يَحْيَى فَيَكُونُ قُرَّةَ عَيْنٍ لِأَبَوَيْهِ ، وَخَلِيفَةً

لِوَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَيَضْطَلَعُ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى
 الدِّينِ الْخَالِصِ ، وَتُظْهِرُ فِيهِ آثَارُ النَّجَاتِ مِنْذُ
 الصَّبْرِ ، فَيُقْبَلُ عَلَى الْعِلْمِ بِشَفَفٍ وَهُوَ غَلَامٌ ، وَيَتَحَلَّى
 بِالصَّبَاحِ وَالْتَقْوَى وَهُوَ شَابٌ ، وَيَمْتَازُ عَنْ أَفْرَادِهِ
 فِي الْحُبِّ وَالْحَنَانِ وَالْبِرِّ بِالْأَبْوَنِ ، يُشَارُ فِي ذَلِكَ
 إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُ :

« يَخِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ

صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا
 بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ
 وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا » .



قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام

١- قصة خارقة للعادة

وَيَجِيءُ دُورُ سَيِّدِنَا عِيسَى ، وَهُوَ آخِرُ الرُّسُلِ
 قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهِيَ قِصَّةٌ
 تَجَلَّتْ فِيهَا إِرَادَةُ اللَّهِ الْقَامِرَةُ ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ الْمُطْلَقَةُ ،
 وَحِكْمَةُ اللَّهِ الدَّقِيقَةُ ، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ، وَوِلَادَتُهُ
 خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، حَارَتْ فِيهَا الْأَلْبَابُ ، وَنُسِخَتْ فِيهَا
 الْقَوَانِينُ الطَّبِيعِيَّةُ ، وَشَقَّ الْإِيمَانُ بِهَا وَالتَّصَدِيقُ لَهَا
 عَلَى مَنْ آمَنَ بِالْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ كَالِهَ لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ ،
 وَآمَنَ بِالتَّجَرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ وَبِأَحْكَامِ الطَّبِّ وَالطَّبِيعَةِ
 كَنَامُوسٍ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَجَهَلَ قُدْرَةَ اللَّهِ الَّتِي
 أَحَاطَتْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَغَلَبَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِرَادَتُهُ
 الَّتِي لَا يَحُولُ دُونَهَا شَيْءٌ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا
 أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ۝ .

وَهَٰذَا هَٰذَا الْإِيمَانُ عَلَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ كَالِهٍ
 قَادِرٍ مُّرِيدٍ، خَالِقِ صَبَاحٍ، «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُ
 الْمُبْصِرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ .

وَأَمَّنْ يَخْلُقِ آدَمَ مِنْ مَّاءٍ وَطِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ أُمَّةٍ
 وَأَبٍ، وَوِلَادَةٍ مِّنْ أُمَّةٍ مِّنْ غَيْرِ أَبِي أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ لِلتَّهْدِيقِ
 مِنْ وَلَادَةٍ مِّنْ غَيْرِ أُمَّةٍ وَأَبٍ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
 «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» خَلَقَهُ مِنْ
 تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ٥ .

٢- أَمْرُ كُلِّهِ عَجَبٌ

وَأَمْرُ سَيِّدِنَا عِيسَىٰ كُلُّهُ عَجَبٌ، وَقَدْ كَانَتْ
 وَلَادَتُهُ فِي عَصْرِ بَلَلَتْ فِيهِ «يُونَانُ» أَوْجَهَا فِي الْعُلُومِ
 الْعَقْلِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، وَكَانَتْ لِلطَّبِّ دَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ.

٣- خُضُوعُ الْيَهُودِ

لِلْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ

وَحُضْعَ الْيَهُودِ - وَهُمْ أُمَّةٌ كَثُرَ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ -

لِلْعُلُومِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِهِمْ ، وَاشْتَهَر فِيهِمْ انْكَارُ الرُّوحِ
وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، وَاعْتَادُوا أَنْ يُفَسِّرُوا كُلَّ مَا يَرَوْنَهُ
تَفْسِيرًا مَادِّيًّا ، فَلَا وَجُودَ لِشَيْءٍ عِنْدَهُمْ وَلَا إِمْكَانَ
لِحَادِثٍ إِلَّا بِالسَّبَبِ وَالْعِلَّةِ ؛ فَكَانَتِ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي
أَكْرَمَ اللَّهُ بِهَا سَيِّدَنَا عِيسَى عِلَاجًا لِلْعَقْلِ الْمَادِّيِّ
الضَّيِّقِ ، وَحَاجَةً الْعَصْرِ وَبِدَاءَ الزَّمَانِ .

وَأَمَّنَ الْيَهُودُ فِي الْوُقُوفِ عِنْدَ الظَّاهِرِ وَالتَّمَسُّكِ
بِالْفُشُورِ دُونَ اللَّبَابِ ، وَالتَّشَبُّثِ بِالْمَظَاهِرِ دُونَ
الْحَقِيقَةِ ، وَغَلَوُا فِي تَقْدِيسِ الْعَصْرِ وَالدَّمِ ، وَفِي
حُبِّ الْمَالِ وَالْمَادَّةِ ، وَانْهَمَكُوا فِي الْحَيَاةِ إِنِّهَمَاكَ زَائِدًا
وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَجَعَتْ طَبَائِئُهُمْ ، فَلَا يَرِقُونَ لِلضَّعِيفِ
وَلَا يَنْطِفُونَ عَلَى الْفَقِيرِ ، وَيُعَامِلُونَ مَنْ لَا يَجْرِي فِي
عُرُوقِهِ الدَّمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ مُعَامَلَةَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْكِلابِ
أَوِ الْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا رُوحَ فِيهَا ، وَيَخَضَعُونَ لِلْأَفْرِيَاءِ الْأَغْنِيَاءِ ،
وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَى الصَّغَارِ الْفُقَرَاءِ ، وَيَفْسُونَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ،
وَيَلِينُونَ عِنْدَ الْعَجْزِ ، قَدْ وَلَدَتْ فِيهِمْ حَيَاةُ الدُّلِّ

وَالْعُبُودِيَّةِ الَّتِي عَاشُوها فِي الْحُكْمِ الرُّومَانِي الَّذِي دَامَ
مُدَّةً طَوِيلَةً فِي سُورِيَا وَفَلَسْطِينَ ، النَّفَاقِ وَالْخُنُوعِ ،
وَالْتَّحِيلِ وَالذَّهَاءِ ، وَاللَّجُوءِ إِلَى الْمُوَامَرَةِ وَالسُّرِّيَّةِ .

٤- اسْتِخْفَافٌ وَتَمَرُّدٌ

وَوَلَدَ فِيهِمُ الْإِسْتِخْفَافُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْإِجْتِرَاءُ
عَلَيْهِمْ ، حَتَّى بِالْقَتْلِ ، وَالتَّعَامُلُ بِالرَّبَا ، وَالْعَيْثُ بِالتَّعَالِيمِ
الدِّينِيَّةِ ، الْغِلْظَةُ وَالْجَفَافُ ، وَضَعْفُ الْعَاطِفَةِ
الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَتَجَرَّدَتْ قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِّنْ حُبِّ اللَّهِ
الْخَالِصِ ، وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ - مَهْمَا كَانَ أَضْلُهُ
وَفَضْلُهُ - وَاخْتِرَامِ الْإِنْسَانِيَّةِ .

وَكَادُوا يَنْسَوْنَ مَعَانِيَ الْمُوَاسَاةِ وَالْمُسَاوَاةِ ،
وَالِبرِّ وَالْكَرَمِ ، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالسُّبُوءَاتِ وَالرَّسَالَاتِ ،
وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ ، وَزَخَرَتْ صُحُفُهُمْ بِأَخْبَارِهِمْ ،
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَصْبَحُوا فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِمَا
وَافَقَ هَوَاهُمْ ، وَأَيَّدَهُمْ فِي سِيَرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ ، أَمَّا

مَنْ اِسْتَقْدَمَهُمْ وَحَاسَبَهُمْ ، وَدَعَاَهُمْ إِلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ
وَالْحَقِّ الصَّهْرِحِ وَاصْلَاحِ الْحَالِ ، عَادَوْهُ وَحَارَبُوهُ ، وَكَانَتْ
عِنْدَهُمْ جَرَاءَةٌ عَلَى الْبُهْتِ وَالْاِفْتِرَاءِ ، وَكُتْمَانِ الْحَقِّ ،
وَشَهَادَةِ الزُّورِ .

٥- نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَكَانُوا أُمَّةً تَمْتَّازُ عَنِ الْأُمَمِ الْمُعَاَصِرَةِ فِي كُلِّ
زَمَانٍ ، بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ ، وَذَلِكَ سِرٌّ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى
غَيْرِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
« يٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » .

٦- نَكَرَانُ لِلْجَبِيلِ

وَلَكِنْ تَسَرَّبَتْ إِلَيْهِمْ بِحُكْمِ الْاِخْتِلَافِ وَتَجَاوَزَةِ
الشُّعُوبِ الْوَسْثِيَّةِ لِلْمُشْرِكَةِ ، وَبَطُولِ الْعَهْدِ بِتَعَالِيهِ
الْأَنْبِيَاءِ ، عَقَائِدُ زَائِفَةٌ ، وَعَادَاتُ جَامِلِيَّةٌ ، وَقَدْ عَبَدُوا

الْعَجَلِ فِي مَضَرٍ، وَبِالْفَوْرِ فِي تَقْدِيسِ غُزِيرٍ وَتَعْظِيمِهِ،
 حَتَّى تَخْطُوا بِهِ حُدُودَ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَلَغْتَ بِهِمُ الْوَقَاحَةَ
 إِلَى أَنْ تَسْبُوا بَعْضَ أَعْمَالِ الشَّرِكِ وَالْوَثْنِيَّةِ، وَأَعْمَالِ
 السَّحْرِ وَالْكُفْرِ، وَالْأَفْعَالِ الشَّيْئَةِ، إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ،
 وَلَمْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ .

٧- زَهُوٌّ وَدَلَالٌ

وَكَانُوا رَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ شَدِيدِي الْإِذْلَالِ بِالنَّسَبِ،
 شَدِيدِي الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْأَمَانِيِّ وَالْأَخْلَامِ، يَقُولُونَ:
 «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» . وَيَقُولُونَ: «لَنْ تَمَسَّنَا
 النَّارُ إِلَّا آيَاتًا مَعْدُودَةً» .

٨- وَلَادَةُ الْمَسِيحِ

تَحَدَّى الْمَحْسُوسِ الْمَعْرُوفِ

وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْمَسِيحِ وَحْيَانُهُ، وَدَعْوَتُهُ
 وَمَعِيشَتُهُ، تَحَدَّى لِكُلِّ ذَلِكَ، تَحَدَّى لِلْمَحْسُوسِ
 الْمَقَرَّرِ، تَحَدَّى لِلْأَغْرَافِ الشَّائِعَةِ، وَالْعَادَاتِ الْمُتَّبَعَةِ،

وَالْقَوَانِينَ الْمَرْسُومَةِ ، وَالْمُثَلِّ الْعُلْيَا الَّتِي يُؤْمِنُ بِهَا
 الْيَهُودُ ، وَالْعَادَاتِ الَّتِي يَتَنَافَسُونَ فِيهَا ، وَتَتَقَاتَلُونَ
 عَلَيْهَا ، فَوَلَدَ مِنْ طَرِيقَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ ، وَكَلَّمَ النَّاسَ
 فِي الْمَهْدِ ، وَنَشَأَ فِي أَحْضَانِ أُمِّ فَقِيرَةٍ مُتَبَتِّلَةٍ ، وَ
 عَاشَ فِي جَوْ مَلِيٍّ بِالطَّنِّ وَالْقَذَحِ ، بَعِيدٍ عَنِ مَظَاهِرِ
 الْعِظَمَةِ وَالْغِنَى ، يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيُؤَاكِلُهُمْ ، وَيَخْنُرُ
 عَلَيْهِمْ ، وَيُؤَاسِي الضُّعَفَاءَ وَالْفُرَبَاءَ ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ فَقِيرٍ
 وَغَنِيٍّ ، وَحَاكِمٍ وَمُحْكُومٍ ، وَشَرِيفٍ وَوَضِيعٍ .

٩- مُعْجَزَاتُ الْمَسِيحِ

وَأُخْرِمَهُ اللَّهُ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ ، وَأَتَاهُ الْإِنْجِيلُ ،
 وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاطِنَةِ ، يَشْفِي
 اللَّهُ بِهِ الْمَرَضَى الَّذِينَ عَجَزَ عَنْ مَدَاوِينِهِمُ الْأَطِبَّاءُ ،
 وَيُنِيرِي الْأَكْغَمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ،
 وَيَخْلُقُ لِلنَّاسِ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ ،
 فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَيُنَبِّئُ بِمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ

وَيَذْخُرُونَهُ فِي بُيُوتِهِمْ .

فَيَسِدُ بِكُلِّ ذَلِكَ الثَّقَّةَ بِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ
خَبَرِ مُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ ، وَأَخْبَارِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَيَجِدُّ
الْإِيمَانَ بِهَا ، وَيَكْذِبُ الْعِبَادَةَ لِلْحَسِّ وَالتَّجَرِبَةِ ، فَعَامَ
الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ سَعَةَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَقُوَّةَ الْإِرَادَةِ
الرَّبَّانِيَّةِ ، فَقَدَّرُوا أَنْ لَا جَدِيدَ وَأَنْ لَا مَزِيدَ فِيمَا عَلِمُوهُ
وَشَامَدُوهُ .

١- دَعْوَتُهُ إِلَى الدِّينِ وَتَكْذِيبُهُ الْيَهُودَ

وَكَذَّبَ الْيَهُودَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تَحْتَلُّوهُ وَغَلَّوْا فِيهِ ،
وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ ، يَدْعُوهُمْ
إِلَى نُوحِ الدِّينِ وَلُبَائِهِ ، وَأَضْلِلِهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَالْحُبَّ
لِلَّهِ حُبًّا يَنْقَلِبُ عَلَى كُلِّ حُبٍّ ، وَالرَّحْمَةَ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ
وَاحْتِرَامَهَا ، وَالْمَوَاسَاةَ لِلْفُقَرَاءِ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ
الْخَالِصِ ، وَرَفْضِ كُلِّ مَا دَخَلَ عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ
مِنْ عَادَاتٍ جَاهِلِيَّةٍ ، وَعَقَائِدَ بَاطِلَةٍ .

١١- الْيَهُودُ يَنْصِبُونَ لَهُ الْحَرْبَ

وَشَقَّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْيَهُودِ ، وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ :
وَرَمَوْهُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَرَشَقُوهُ بِالثَّهَمِ وَالْقَذَائِفِ ،
وَتَنَاوَلُوهُ بِالسَّبِّ الْقَبِيحِ وَالْقَوْلِ الْبَدِيِّ ، وَتَنَاوَلُوا أُمَّهُ
مَزِيمَ الْبُتُولِ بِالْقَذْفِ وَالطَّنْصِ ، وَعَاكَسُوهُ وَطَارَدُوهُ ،
وَأَمَاجُوا لَهُ الْأَوْبَاشَ ، وَسَدَّوْا فِي وَجْهِهِ الطَّرْقَ .

١٢- قِصَّةُ عِيسَى فِي الْقُرْآنِ

ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَالتَّخْلُصَ مِنْهُ ، فَحَمَاهُ اللَّهُ ،
وَرَدَّ كَيْدَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهُ ، إِفْرَدُوا
قِصَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ :

« إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ۖ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۚ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي
الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ : رَبِّ أَنَّى يَكُونُ

لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
 يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيَسْأَلُهُ
 الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي
 إِسْرَآئِيلَ ۝ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلَقُ
 لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ
 اللَّهِ وَأُنْبِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأُنثَىٰ وَأُخْبِي النُّثَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
 مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
 وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ إِنَّ
 اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝ فَلَمَّا
 أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ آمَنَّا بِاللَّهِ ۖ وَاشْهَدْ
 بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا
 مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكْرُوهٌ وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۖ
 ۝ إِذْ قَالَ اللَّهُ : يُعِيسِي إِبْنِي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ

وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُزُقَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخْكُمُ
 بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
 مِنْ نَاصِرِينَ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ
 أُجُورَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۚ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ
 مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۚ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ
 كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُنْكَرِينَ ۚ

١٣- سِيرَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

فِي الْقُدَّانِ

وَأَقْرَأُوا وَضَعَهُ تَعَالَىٰ لِسِيرَتِهِ وَدَعْوَتِهِ فِي قَوْلِهِ:
 قَالَ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ۖ إِنِّي الْكَتَبُ وَجَعَلَنِي
 نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَمَلَةِ
 وَالزُّكُوفِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَلَدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۚ

١٤- صِرَاعٌ قَدِيمٌ

وَوَقَعَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَا وَقَعَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ ، فَلَبَّغَدَ عَنْهُ الرُّؤَسَاءُ وَالزُّعَمَاءُ ، وَهَجَرَهُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَقْوِيَاءُ ، وَرَأَوْا فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ غَضَابَةً وَعَيْنِيًّا ، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ النَّزَالُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، مِنْ رِئَاسَةٍ وَزِعَامَةٍ ، وَامْتِيَازِ وَسِيَادَةٍ ، وَصَدَقَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُومًا : إِنَّا بِنَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرُونَ ۝ وَقَالُوا : نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ۝ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝ » .

١٥- إِيْمَانُ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ

وَلَمَّا يَأْتِ عِيسَى مِنْهُمْ ، وَشَاهَدَ فِيهِمُ الْإِنَادَ وَالْكَفَرَ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ جَحَدُوا بِمَا جَاءَهُ بِهِ ، مِنْ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَمُعْجَزَاتٍ بَامِرَاتٍ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ، وَاسْتَظْفَرُوهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَوْلٍ وَطَوْلٍ ، أَقْبَلَ

عَلَىٰ عَامَّةِ النَّاسِ وَفُقَرَائِهِمْ ، وَقَدْ لَانَ قُلُوبُهُمْ ، وَصَفَتْ
نُفُوسُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ يَكْدَ يَمِينِهِمْ وَغَرَقَ جَبِينِهِمْ ،
لَا يَتَفَاخَرُونَ بِنَسَبٍ ، وَلَا يَتَطَاوَلُونَ بِجَاهٍ وَمَنْصِبٍ ، فَأَمَتَتْ
مِنْهُمْ مَلَائِفُهُ ، فِيهَا الْقَصَّارُونَ ، وَفِيهَا صَبَّادُو الْأَسْمَالِ ،
وَفِيهَا أَمَلُ الْحَرْفِ وَالْبَهَنِ .

١٦- نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ

فَأَمَنُوا بِالْمَسِيحِ ، وَالتَّفُّوا حَوْلَهُ ، وَوَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ
فِي يَدِهِ ، وَقَالُوا : «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :
«فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ : مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ۖ أَمَنَّا
بِاللَّهِ ۖ وَاشْهَدَ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا أَمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا
الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝

١٧- سِيَاحَتُهُ وَدَعْوَتُهُ

وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ فِي

السِّيَاحَةِ ، وَالْإِنْتِقَالِ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَّكَانٍ ، يَدْعُو بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَهْدِي خِرَافَهُمُ الصَّالَةَ إِلَى رَبِّهَا وَ سَيِّدِهَا ، وَيَتَّفِقُ لَهُ فِي هَذِهِ الْجَوْلَاتِ وَالرَّحَلَاتِ الْيَسْرُ وَالْعُسْرُ ، وَالصَّبِيحُ وَالزَّخَاءُ ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ صَابِرًا ، وَيَقْبَلُ هَذَا شَاكِرًا ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ ، وَيَجْتَزِي بِمَا يَسُدُّ الرِّقْمَ .

١٨- الْحَوَارِيُّونَ

يَطْلُبُونَ مَائِدَةَ السَّمَاءِ

أَمَّا الْحَوَارِيُّونَ فَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْزِلَتِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالْجَلْدِ وَالتَّقَشُّفِ وَالزَّمَادَةِ ، وَأَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ ، فَطَلَبُوا مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ لَهُمْ مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ يَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْبَعُونَ بَعْدَ جُوعٍ ، وَيَنْعَمُونَ بَعْدَ عَنَاءٍ .

١٩- سُوءُ أَدَبٍ

وَلَمْ يَكُونُوا مُتَادِّبِينَ فِي سُؤَالِهِمْ ، فَقَالُوا : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ

وَلَمْ يَنْجِبْ عِيسَى سُؤَالَهُمْ ، وَكَرِهَ الْأُسْلُوبَ الَّذِي خَاطَبُوا بِهِ . وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا يُطَالِبُونَ أُمَّتَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِالْقَتِيبِ ، وَيُكَلِّفُونَهَا إِتْيَاهُ ، وَلَيْسَتْ الْمُنْجِزَاتُ خَارِيقَ يُسَلَّى بِهَا الْأَطْفَالُ ، وَيُلَهِّي بِهَا الْأَعْمَارُ ، وَإِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ مِّنَ اللَّهِ يُظْهِرُهَا عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ حِينَ يَشَاءُ ، وَتَقُومُ بِهَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ ، فَلَا يَنْهَلُونَ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَإِنْكَارِهَا .

٢- تَحْذِيرُ قَوْمِهِ

مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ

لِذَلِكَ خَافَ سَيِّدُنَا عِيسَى عَلَيْهِمُ ، وَحَذَرَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ امْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَهُوَ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ .

٢١- الْحَاحُ وَإِضْرَافُ

وَلَكِنَّ الْحَوَارِيَّينَ تَشَبَّهُوا بِسُؤَالِهِمْ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ جَادَوْا فِي هَذَا السُّؤَالِ ، لَا يَفْهَمُونَ امْتِحَانًا ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَطْمِئِنَانًا ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ ذِكْرًا لِلْأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ ،

وَقِصَّةُ نَحْكَى وَتُرْوَى عَلَى مَرَّ الْأَيَّامِ، فَتَكُونُ دَلِيلًا
عَلَى صِدْقِ هَذَا الدِّينِ، وَمَنْزِلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ،
وَالْحَوَارِيِّينَ الصَّادِقِينَ .

٢٢- الْقُرْآنُ يَحْكِي الْقِصَّةَ

وَدَعُوا الْقُرْآنَ يَحْكِي هَذِهِ الْقِصَّةَ :
إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ
يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ :
اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ه قَالَوا : نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ حَبَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا
مِنَ الشَّاهِدِينَ ه قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا
وَأَيَّةً مِنْكَ ه وَأَنْزَلْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ه قَالَ اللَّهُ
إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ه فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ
عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ه



٢٣ - الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ التَّخْلَصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى

وَعِيسَى صَبَرُ الْيَهُودِ ، وَفَاضَتْ كَأْسُ عِدَائِهِمْ
وَعِنَادِهِمْ ، فَأَرَادُوا التَّخْلَصَ مِنْ سَيِّدِنَا عِيسَى ، فَرَفَعُوا
قَضِيَّتَهُ إِلَى الْحَاكِمِ الرُّومِيِّ وَقَالُوا : إِنَّهُ رَجُلٌ ثَائِرٌ قَوْمَهُ
مَرَقَ مِنْ دِينِنَا ، وَاسْتَهْوَى شَبَابَنَا ، فَفَتِنَاوَاهُ ، وَفَرَّقَ
أَمْرَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَشَفَلَ بَالَنَا .

٢٤ - أُسْلُوبُ النَّاقِمِينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ

وَهُوَ خَطَرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ ، لَا يَخْضَعُ لِنِظَامٍ ، وَلَا
يَتَّقِي دُيُونًا ، وَلَا يُعْظَمُ عَظِيمًا ، وَلَا يُقَدَّسُ قَدِيمًا ،
وَهُوَ رَجُلٌ ثَوْرِيٌّ ، إِذَا لَمْ يَكْفِ شَرُّهُ قَوَاهُ يُتَّفَقَمُ ، وَلَا
تُسْتَضَعَرُ الشَّرَارَةُ مِنْهَا كَانَتْ تَافِهَةً .

٢٥ - مَكْرُودَهَاؤُ

وَكَانَ كَلَامًا تَمْلُؤُوا بِالْمَكْرِ وَالذَّهَاءِ ، مَضْبُوعًا

بِالصَّبْغَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ الْجَانِبَ الدِّينِيَّ
لَا يُشِيرُ الْحُكَّامَ وَلَا يُهَيِّجُهُمْ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ
أَنْ لَا يَتَدَخَّلُوا فِي أُمُورِ الْيَهُودِ الدِّينِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ خَلَطُوا
الْحَلَامَ بِالسِّيَاسَةِ .

٢٦- مُشْكَلَةٌ

وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْحُكَّامُ الْأَجَانِبُ الْمُسْرِكُونَ
حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَيَعْرِفُوا أَعْرَاضَ الْيَهُودِ ، وَسَبَبَ عِدَائِهِمْ
لِلْمَسِيحِ ، وَكَانُوا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ ذَلِكَ بِالْأُمُورِ
الْإِدَارِيَّةِ ، وَلَكِنْ أَشْتَدَّ الْحَاجُّ الْيَهُودِ ، وَطَالَ تَرَدُّدُهُمْ
فَارَادُوا التَّخْلُصَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَضْطَبَحَتْ
حَدِيثَ الْبَلَدِ .

٢٧- سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ

فِي الْمَخَكَةِ

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَةَ السَّبْتِ
وَكَانَ الْيَهُودُ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا يَوْمَ السَّنَةِ ، وَكَانَ يَوْمٌ
عُطْلَةٌ وَكَفَّ عَنِ الْعَمَلِ ، فَكَانُوا حَرِيصِينَ كُلَّ الْحِزْمِ

عَلَى أَنْ يَصْدَرَ الْحُكْمُ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،
وَيَسْتَرْجِعُوا مِنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَيَنَامُوا هَادِئِينَ الْبَالِ، وَ
يُضَيِّحُوا نَاعِمِي الْبَالِ، لَا يُزْعِجُهُمْ شَيْءٌ.

وَقَدْ ضَاقَ الْحَاكِمُ بِالْقَضِيَّةِ ذَرْعًا، وَلَيْسَتْ
لَهُ فِيهَا رَغْبَةٌ وَلَا لَأُتَمِّتَهُ فِيهَا مَصْلَحَةٌ، وَقَدْ اخْتَشَدَ
الْيَهُودُ لِسَمَاعِ الْحَكِيمِ، وَهُمْ بَيْنَ صَاحِحٍ وَمَافٍ،
وَمُتَنَدِّرٍ وَمُتَهَكِّمٍ، وَالْحَاكِمُ مُتَضَيِّقٌ، وَالْوَقْتُ
قَصِيرٌ، وَالشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، فَأَصْدَرَ الْحُكْمَ
عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ صَلْبًا.

٢٨- الْقَانُونُ الْجِنَائِي

فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَكَانَ الْقَانُونُ الْجِنَائِي فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ يُوجِبُ
أَنْ يُخَيَّلَ الْمَحْكُومُ عَلَيْهِ بِالشَّنَقِ، صَلِيبُهُ الَّذِي
يُضَلَّبُ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْمَشْنُوقُ بَعِيدًا كَمَا هِيَ الْعَادَةُ
فِي الْبِلَادِ الْمُتَمَدِّنَةِ، وَكَانَ الْجَنْعُ حَاشِدًا يَتَسَاقَطُ
بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَ رِجَالُ الشُّرْطَةِ - وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ

الْأَجَانِبِ - مَأْمُورِينَ مُوَظَّفِينَ لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
وَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَشْبَاهًا عِنْدَهُمْ يَلْتَقِسُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ،
فَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمْ ، شَأْنُ الْأَجَانِبِ فِي نَظَرِ الْأَجَانِبِ ، وَ
كَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً قَدْ مَدَّ الظَّلَامُ رُواقَهُ ، وَكَانَ بَعْضُ
الْيَهُودِ وَالْمُتَحَمِّسِينَ الشُّفَهَاءِ مِنَ الشَّبَابِ يَنْهَالُونَ
عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَيَتَدَافَعُونَ عَلَيْهِ ، يَسُبُّونَهُ ،
وَيُعَيِّرُونَهُ ، وَيُرِيدُونَ إِيْذَاءَهُ وَإِهَانَتَهُ .

٢٩- عِيسَى يَتَحَمَّلُ الْأَذَى

وَكَانَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لَاغِبًا ، قَدْ أَضْنَاهُ الْجُهْدُ ،
وَطُولُ الْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ ، وَتَحَمُّلُ الْأَذَى ، وَكَانَ الصَّبْرُ
ثَقِيلًا ، وَقَدْ كُلِّفَ حِمْلُهُ ، فَكَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسْرِعَ فِي
السَّيْرِ .

٣- تَذِيرٌ إِلَهِيٌّ

وَمَنَا أَمْرَ الشَّرْطِيِّ الْمَوْكَلِ بِهِ ، شَأْنًا إِسْرَائِيلِيًّا

يَجْنِلِ الْعُودَ ، وَكَانَ أَشَدَّ زُمَلَاءِهِ حَمَاسَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ
سَفَامَةً ، وَأَخْرَجَهُمْ عَلَى إِيْذَاءِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ، وَ
مُبَادَرَةٍ لَهُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ سَرِيعًا ، وَيَتَخَلَّصَ مِنْ
هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُرْهَقَةِ .

٣١- وَلَكِنْ شَبَّ لَهُمْ

وَمَكَدْنَا وَهَلَّ الْمَوَكِبُ إِلَى بَابِ الْمَشْنَقِ ،
فَتَقَدَّمَ شُرْطَةُ الْمَشْنَقِ ، وَتَسَامَوْا الْأَمْرَ مِنَ الشُّرْطَةِ
الْمَدِينِيِّينَ ، وَرَأَوْا الشَّابَّ يَحْمِلُ الصَّبْلَ ، وَاخْتَلَطَ
الْحَامِلُ بِالنَّائِلِ ، وَكَثُرَ الْخَبَجُ ، فَأَخَذَ بِيَدِ الشَّابِّ
الْحَامِلِ لِلصَّبْلِ ، وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّ هُوَ الْمَحْكُومُ
عَلَيْهِ بِالصَّبْلِ ، وَهُوَ يَمِيزُ وَيَضِجُ ، وَيَعْلَنُ بَرَاءَتَهُ
وَأَنَّهُ لَا شَأْنَ لَهُ بِالْحُكْمِ وَالصَّبْلِ ، وَإِنَّمَا كُفَّ حَمْلُ
الْعُودِ سُخْرَةً وَظُلْمًا ، وَشُرْطَةُ الْمَشْنَقِ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى
ذَلِكَ ، وَلَا يَفْهَمُونَ لِقَتَهُ ، لِأَنَّهُمْ مِنَ الرُّومِ وَالْيُونَانِ
الْأُمَمَةِ الْحَاكِمَةِ .

٣٢- تَنْفِذُ حُكْمٍ

وَكُلُّ مُجْرِمٍ يَتَصَحَّلُ مِنْ جَرِمَتِهِ، وَكُلُّ مُجْرِمٍ لَهُ
صَبَاحٌ وَعَوِيلٌ، وَأَخْذُوهُ وَنَفِّذُوا فِيهِ الْحُكْمَ، وَالْيَهُودُ
وَأَقْفُونَ عَلَى بُعْدٍ، وَالْدُّنْيَا لَيْلٌ وَظِلَالٌ، وَهُمْ يَظُنُّونَ
كُلَّ الظَّنِّ أَنَّ الْمَظْلُوبَ هُوَ الْمَسِيحُ^(١)!

٣٣- رَفَعُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ

أَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَقَدْ نَجَّاهُ اللَّهُ
تَعَالَى مِنَ كَيْدِ الْيَهُودِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مُكَرَّمًا مُطَهَّرًا مِّنَ
الَّذِينَ كَفَرُوا .

٣٤- الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِصَّةِ

وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ التَّهْوِيدِ:

(١) استندنا في تفاميل هذه القصة، والملابسات والأجواء التي أحاطت
بها، إلى الوثائق المسيحية التاريخية والقانونية التي ظهرت ودونت في العصور الأخيرة

«وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۖ وَ
 قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ
 وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا
 اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۚ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ
 وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝» .

وَمُؤَيِّدِ السَّمَاءِ كَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمُؤَيِّدِ
 الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَدْ كَانَتْ وَلَادَتُهُ عَجَبًا ، وَحَيَاتُهُ
 عَجَبًا ، وَأَمْرُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ عَجَبٌ ، خَارِقٌ لِلْعَادَةِ ،
 مُثَبِّتٌ لِلْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُبْتَلاَةِ .

٣٥- نُزُولُ عِيسَىٰ عِنْدَ الْقِيَامَةِ

وَسَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حِينَ يُرِيدُهُ اللَّهُ ، وَيُقِيمُ
 الْحُجَّةَ عَلَىٰ مَنْ فَرَّطُوا فِيهِ وَأَفْرَطُوا ، مِنَ الْيَهُودِ وَ
 النَّصَارَى ، وَيَنْصُرُ الْحَقَّ ، وَيَكْبِتُ أَهْلَ الْبَاطِلِ ، كَمَا
 أَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَوَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ

وَالْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ ، وَاعْتَقَدَهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ عَصْرِ
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ :

«وَأِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ
مَوْتِهِ» وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ، .

٣٦- بِشَارَتِهِ بِبَيْعَتِهِ سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ ﷺ

وَلَمْ يُكْمِلْ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ مُهِمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ
لِشِدَّةِ مُحَارَبَةِ الْيَهُودِ وَكَيْدِهِمْ لَهُ ، وَهَنَفِهِ وَقِلَّةِ أَنْصَارِهِ
فَوَدَّعَ النَّاسَ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَبَشَّرَ النَّاسَ بِرَسُولٍ
يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ ، يُكْمِلُ مَا بَدَأَهُ ، وَيُعِثُّ مَا خَصَّصَهُ ،
وَبِهِ تَبَعُ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَتَقُومُ حُجَّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ :
«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ،
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» .

٣٧- مِنَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ إِلَى عَقِيْقَةِ غَاثِيَةِ

وَمِنْ غَرَائِبِ تَارِيخِ الْأَذْيَانِ ، وَمِمَّا تَدْمَعُ لَهُ

الْيُونُ، وَتَذُوبُ لَهُ الْقُلُوبُ، أَنَّهُ تَحَوَّلَتْ دَعْوَةُ الْمَسِيحِ إِلَى
 التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالذِّينِ السَّهْلِ السَّائِغِ الْبَعِيدِ عَنْ كُلِّ غُمُوضٍ
 وَتَعْقِيدٍ، وَتَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ بَعِيدٍ، الدَّعْوَةُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ، وَالسُّؤَالِ مِنْهُ، وَالْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَحُبِّهِ الْخَالِصِ،
 إِلَى عَقِيدَةٍ غَامِضَةٍ، وَفَلَسَفَةٍ مُعَقَّدَةٍ، فَغَلَا فِيهِ اتِّبَاعُهُ
 وَأَطْرَوْهُ إِطْرَاءً خَرَجَ بِهِ مِنْ حُدُودِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى حُدُودِ
 الْأُلُوْهِيَّةِ؛ فَقَالُوا: «الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ». وَقَالُوا: «اتَّخَذَ
 اللَّهُ وَلَدًا». وَقَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ». وَجَعَلُوا مِنَ
 الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْعَهْدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،
 أُنْسَوَةً مُؤَلَّفَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، كُلُّهُمْ إِلَهٌ؛ فَقَالُوا:
 الرَّبُّ وَالْإِبْنُ وَرُوحُ الْقُدُسِ، وَاعْتَقَدُوا فِي مَرْيَمَ أُمِّ
 الْمَسِيحِ، وَغَامَلُوها بِمَا يَبْلُغُ بِهَا إِلَى دَرَجَةِ التَّقْدِيسِ
 وَالْعِبَادَةِ؛ فَقَالُوا: «أُمُّ اللَّهِ». وَشَاعَتْ لَهَا تَمَاشِيلُ وَصُورُ
 فِي الْكَنَائِسِ، يُخَضَّعُ لَهَا النَّصَارَى بِاللُّجُوءِ وَالِدُّعَاءِ،
 وَالتَّذَرُّعِ وَالْإِنْجِنَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَرَمَاتِ
 اعْتَقَدُوهُ، مُسْتَبْشِعًا مَا فَعَلُوهُ:

« مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۚ كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ ۚ
 انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ
 اتَّقِبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
 وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ » .

٣٨- عِيسَى يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ

وَقَدْ دَعَا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ ۚ فَجَاءَهُ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِنْجِيلِ : « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ
 إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (متى ١٠: ٤) وَقَوْلُهُ :
 « مَكْتُوبٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ ، وَلَهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ ، (لوقا ١١: ٢٨)
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« بِمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
 وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا
 كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ

وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَّامُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٥٠

٣٩- الْقُرْآنُ يُبْرِحُ بِدَعْوَةِ عِيسَى

وَقَدْ نَقَلَ الْقُرْآنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُبَدَّقُ

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُهَيَّمِ عَلَيْهِ - مِنْ إِعْلَانِ سَيِّدِنَا

عِيسَى بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ ، فِي أُسْلُوبِ

هَبْرِيٍّ وَاضِحٍ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ :

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا

اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ

اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ ٥١

٤٠- مَنَزِلَةُ التَّوْحِيدِ فِي دَعْوَتِهِ

وَقَالَ فِي أُسْلُوبِ جَمِيلٍ يُلْغِي تَدْوِقَهُ كُلُّ

مَنْ عَرَفَ مَنَزِلَةَ التَّوْحِيدِ وَسَيَرَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولِينَ ،

وَمَا طِيبُوا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْخُضُوعِ لَهُ ،
وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ :

«لَنْ يَسْتَنْكِفَ النَّسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ
وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ » وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ
مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا
فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

٤١ - مَشْهَدُ رَائِعُ

مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

وَقَدْ حَمَرَ الْقُرْآنُ فِي بَلَاغَتِهِ وَإِعْجَازِهِ ،
مَشْهُدًا مِّنْ مَّشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الرَّائِعَةِ ، يَتَنَبَّأُ فِيهِ
سَيِّدُنَا عِيسَى عَمَّا تَقُولُهُ النَّاسُ فِيهِ ، وَعَامِلُوهُ بِهِ ،
وَيُوضِّحُ دَعْوَتَهُ فِي قُوَّةٍ وَصِدْقٍ ، وَيُؤَيِّدُ فِي هَذَا
الْقَضِيَّةِ الْفُلَاةَ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَأَنْتَهُمْ هُمُ الْمَسْئُولُونَ

وَحَدَّهْم عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ ، اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، وَاسْتَشْعِرُوا
جَلَالَ التَّوْقِفِ وَرَوْعَةَ الْمَشْهَدِ :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ : يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ : اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ :
سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ءِإِنْ
كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِكَ ءِإِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ : أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنْ
تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ، وَإِنْ تَعْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ اللَّهُ : هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ۝ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ، وَمَوْ
عَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

٤٢ - من عَقِيدَةِ غَامِضَةِ إِلَى وَثْنِيَّةِ سَافِرَةٍ

وَانْتَقَلَ دُعَاةُ الْمَسِيحِيَّةِ إِلَى أَوْرُبَّا بِدِرَافِعِ مَنْ
عِنْدِهِمْ (١) وَقَدْ شَاعَتْ فِيهَا الْوَثْنِيَّةُ السَّافِرَةُ مِنْ زَمَانٍ ،
وَعَاصَتْ فِيهَا إِلَى الْأَذْقَانِ ، فَكَانَ الْيُونَانُ وَثْنِيَّينَ ، وَقَدْ
تَصَوَّرُوا صِفَاتِ اللَّهِ فِي شَكْلِ آلِهَةٍ شَتَّى ، نَحَتُوا لَهَا تَمَاثِيلَ ،
وَبَنَوْا لَهَا مَعَابِدَ وَمِيَاكِلَ ، فَلِلرِّزْقِ إِلَهٌ ، وَلِلرَّحْمَةِ إِلَهٌ ،
وَالْقَهْرِ إِلَهٌ ، وَكَانَتِ الرُّومِيَّةُ عَرِيقَةً فِي الْوَثْنِيَّةِ وَالنَّسْكِ
بِالْخُرَافَاتِ ، وَقَدْ امْتَزَجَتِ الْوَثْنِيَّةُ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا ،
وَجَرَتْ مِنْهَا مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ ، وَكَانَ الرُّومَانُ يَغْبُدُونَ
آلِهَةً شَتَّى ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ ، وَتَنَحَّصَرَتْ
قِسْطَنْطِينُ الْكَبِيرُ سَنَةَ ٣٠٦ م ، وَاخْتَضَنَ الدِّينَ الْجَدِيدَ
وَتَبَنَاهُ وَجَعَلَهُ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّمِيَّةِ ، بَدَأَتِ النَّصْرَانِيَّةُ
تَأْخُذُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْوَثْنِيَّةِ وَالتَّقَالِيدِ
الرُّومِيَّةِ وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَتَدْنُو إِلَيْهَا رُونِدًا رُونِدًا ،

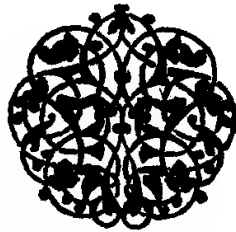
(١) لَأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ ؛ فَقَدْ مَهَرَجَ بِأَنَّهُ أُرْسِلَ لِحُرَافِ إِسْرَائِيلَ الْعِبَالَةَ .

وَمَبَارَتْ تَفَقَّدُ أَهَالَتَهَا التَّبَوِّيَّةَ ، وَبَسَاطَتَهَا الشَّرْقِيَّةَ ،
وَحَمَاسَتَهَا التَّرْجِيدِيَّةَ ، وَدَخَلَ فِيهَا بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ
فَطَلَعُوهَا بِعَقَائِدِهِمُ الْقَدِيمَةِ وَذَوَقِيهِمُ الْوُثْنِيَّ ، وَنَشَأَ
مِنْ ذَلِكَ دِينَ جَدِيدٌ ، تَسَجَّلَ فِيهَا النَّصْرَانِيَّةُ وَالْوُثْنِيَّةُ
سَوَاءً بِسَوَاءٍ .

وَكَذَلِكَ سَارَتْ النَّصْرَانِيَّةُ الزَّاحِفَةُ الْفَاتِحَةُ
عَلَى دَرْبٍ غَيْرِ الدَّرَبِ الَّذِي سَلَكَ الْمَسِيحُ بِهَا عَلَيْهِ ،
وَدَعَا إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ كَسَالِكِ طَرِيقٍ يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ
- عَنْ قَصْدٍ أَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ - فِي خِلَافِ اللَّيْلِ - ،
فَيُضِلُّ سَبِيلَهُ عَلَى طَرِيقٍ لَا يَلْتَقِي بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِ
إِلَى الْأَخِيرِ .

وَلِهَذِهِ الْحِكْمَةِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ
قَرَأَ تَارِيخَ هَذِهِ الدِّيَانَةِ ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالضَّلَالِ حِينَ
وَصَفَ الْيَهُودَ بِالْمَغْضُوبِ ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِينَ:
«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝»

وَكَاثَتْ فِي ذَلِكَ مَأْسَاءُ لَأُزْرَبَا ، وَمَأْسَاءُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ
الَّتِي قَادَتْهَا أُزْرَبَا زَمَنًا طَوِيلًا ، وَلَا تَزَالُ مُسَيِّطِرَةً عَلَيْهَا
وَمُتَحَكِّمَةً فِيهَا . «وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» .



فهرس الاموال ضبع

رقم الصفحة

الموضوع

مقدمة

التنبیه

قصه سيدنا شعيب عليه السلام

- | | | | |
|---|-------|-------|--------------------------------|
| ١ | | | (١) نظرة على القصص السابقة |
| ٢ | | | (٢) قصة هيراع بين الحق والباطل |
| ٣ | | | (٣) والى مدين أخاهم شعيبا |
| ٤ | | | (٤) دعوة شعيب عليه السلام |
| ٥ | | | (٥) أب رحيم ومعلم حكيم |
| ٦ | | | (٦) جواب قومه |
| ٧ | | | (٧) شعيب يشرح دعوته |
| ٨ | | | (٨) ما أنفقه كثيرا مما تقول |
| ٩ | | | (٩) شعيب يتعجب من قومه |

الموضوع	رقم الصفحة
(١٠) السهم الأخير	٨
(١١) حجة قاطعة	٨
(١٢) بل قالوا مثلما قال الأولون	٩
(١٣) بلغ الرسالة وأدى الأمانة	٨
قصته سيد داود وسيد سليمان عليهما السلام	
(١) القرآن يتحدث عن آلاء الله	١١
(٢) نعمة الله على داود	١٢
(٣) شكروا على هذه النعمة	١٣
(٤) نعمة الله على سليمان	٨
(٥) فقه دقيق وعلم عميق	١٤
(٦) سليمان يعرف لغة الطير والحيوان	١٥
(٧) قصة هدهد	١٦
(٨) سليمان يدعو ملكة سبأ إلى دينه	١٧
(٩) الملكة تستشير أركان دولتها	١٨
(١٠) هدية مساومة	١٩

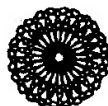
الموضوع	رقم الصفحة
(١١) الملكة تأتي خاضعة	١٩
(١٢) قصر عظيم من زجاج	٢٠
(١٣) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين	٢١
(١٤) القرآن يحكى قصة سليمان	٢٢
(١٥) وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا	٢٥
قصة سيدنا أيوب وسيدنا يونس عليهما السلام	
(١) قصة أيوب نمط آخر من القصص	٢٦
(٢) صبر أيوب	٢٧
(٣) محنة ومنحة	٢٨
(٤) قصة يونس وحكمتها	٢٨
(٥) يونس بين قومه	٢٩
(٦) يونس في بطن الحوت	٣٠
(٧) واستجاب الله دعاه	٣١
قصة سيدنا زكريا عليه السلام	
(١) دعاء زكريا الولد صالح	٣٢

الموضوع	رقم الصفحة
(٢) نذر امرأة عمران	٣٣
(٣) قالت رب إني وضعتها أنثى	✓
(٤) عناية الله بالفتاة المبالغة	٣٤
(٥) إلهاماً من الرب الرحيم	٣٥
(٦) بشارة ولد	٣٦
(٧) آيات الله وقدرته	٣٧
(٨) يحيى يضطلع بأعباء الدعوة	✓
قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام	
(١) قصة خارقة للمادة	٣٩
(٢) أمر كله عجب	٤٠
(٣) خضوع اليهود للأسباب الظاهرة	✓
(٤) استخفاف وتمرد	٤٢
(٥) نعمة الله على بني إسرائيل	٤٣
(٦) نكران للجميل	✓
(٧) زهو ودلال	٤٤

الموضوع	رقم الصفحة
(٨) ولادة المسيح تتحدى المحسوس المعروف	٤٤
(٩) معجزات للسبح	٤٥
(١٠) دعوته إلى الدين وتكذيبه اليهود	٤٦
(١١) اليهود ينصبون له الحرب	٤٧
(١٢) قصة عيسى في القرآن	٤٨
(١٣) سيرته ودعوته في القرآن	٤٩
(١٤) صراع قديم	٥٠
(١٥) إيمان عامة الناس وفقرائهم	٥١
(١٦) نحن أنصار الله	٥٢
(١٧) سياحته ودعوته	٥٣
(١٨) الحواريون يطلبون مائدة السماء	٥٤
(١٩) سوء أدب	٥٥
(٢٠) تحذير قومه من سوء العاقبة	٥٦
(٢١) إلحاح وإصرار	٥٧
(٢٢) القرآن يحكي القصة	٥٨

الموضوع	الصفحة
(٢٣) اليهود يحاولون التخلّص من سيدنا عيسى	٥٥
(٢٤) أسلوب الناقمين والسياسيين	=
(٢٥) مكرودهاء	=
(٢٦) مشكلة	٥٦.....
(٢٧) سيدنا المسيح في المحكمة	=
(٢٨) القانون الجنائي في ذلك العصر	٥٧.....
(٢٩) عيسى يتحمل الأذى	٥٨.....
(٣٠) تدبير إلهي	=
(٣١) ولكن شبه لهم	٥٩.....
(٣٢) تنفيذ حكم	٦٠.....
(٣٣) رفع عيسى إلى السماء	=
(٣٤) القرآن يتحدث عن القصة	=
(٣٥) نزول عيسى عند القيامة	٦١.....
(٣٦) بشارته بيعة سيدنا محمد ﷺ على الله	٦٢.....
(٣٧) من التوحيد الخالص إلى عقيدة غامضة	=

الموضوع	رقم الصفحة
(٣٨) عيسى يدعو إلى عبادة الله وحده	٦٤
(٣٩) القرآن يصريح بدعوة عيسى	٦٥
(٤٠) منزلة التوحيد في دعوته
(٤١) مشاهد رائع من مشاهد القيامة	٦٦
(٤٢) من عقيدة غامضة إلى وثنية سافرة	٦٨
فهرس المواضيع	٧١



پاکستان میں کچھ پبلشرز ہمارا ادارہ (مجلس نشریات اسلام کراچی) کی درسی کتب غیر قانونی طور پر شائع کر رہے ہیں، جو ایک قانونی اور اخلاقی طور پر جرم ہے ہم یہ خط ثبوت کے طور پر شائع کر رہے ہیں کہ درسی کتب کی اجازت صرف مجلس نشریات اسلام کراچی کو ہے۔

Phone 22948



مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ

NADWA BOOK DEPOT

P. O. Box 93, LUCKNOW.

No. ---

Date 3/3/77
۱۲ ربیع الاول ۱۳۹۷ھ

مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء محض ایک تجارتی ادارہ ہیں بلکہ ہندوستان کی تعلیم و تہذیب دارالعلوم ندوۃ العلماء لکھنؤ کا ایک راشعتی مرکز ہے۔ یہاں کی تمام درسی کتب شدہ تصنیفیں، القراءۃ المرشدہ اور رسم اللہ و دیگر کتب کی اشاعت کی اجازت اشک پاکستان کے کسی بھی تاجر کو نہیں دیا گئی تھی، لیکن بعض اہم وجوہات کی بنا پر اسکی طبعیت کے مکمل اختیارات جناب مولوی فضل الرحمن بہرہ پور شٹر مجلس نشریات اسلام کراچی کو دیدئے گئے ہیں۔ انکے علاوہ کسی بھی تاجر کو مکتبہ کی کتابوں کی طبعیت کی مصلحتاً اجازت نہیں ہے۔ مسلمانوں کا اخلاقی و فرائضی ہونا اسلام دین (ادارہ) تعاون فرما سکا اور اپنی سبب ضرورت کتب ایلا سدرج ذیل پتہ سے واسطہ قائم کرے۔

محمد علی ندوی

منبر مکتبہ دارالعلوم ندوۃ العلماء
لکھنؤ